فيكتوريا مارتينوف*

الثقافة الروسية والتفوق الروسي

منذ الحادي والثلاثين من آب لم يبدأ اليافعون الثلاثون من حولون سنتهم الدراسية العادية بعد. إنهم يجلسون معا، بالإضافة إلى آبائهم، في ساحة مدرسة تل- أبيب شيفا - موفيت الثانوية، حيث تصل نسبة الطلبة المنحدرين من عائلات تتحدث اللغة الروسية مئة بالمئة تقريبا. والصغار جميعا مسجلون في مدارس ثانوية مختلفة في حولون، لكن شعاراتهم بالعبرية والروسية على السواء ترتفع منذ اللحظة الأولى لبداية السنة المدرسية: «شيفا - موفيت هي بيتنا! نحن قادمون جدد! نريد أن ندرس في شيفا فقط، الخ».

تقول جوليا بينسكي، والدة الفتى مارك(١٢ سنة): ابني موهوب جدا، وأريد أن يتعلم الرياضيات والفيزياء، لكني أريد أن يعرف الروسية أيضا، أن يقرأ بها ويكتب.»

سبب هذا الاضراب الأخير الطويل الذي يهدد بأن يكون بطول إضراب الأم الوحيدة في القدس، هو أن عمدة حولون موتي ساسون يرفض السماح بانتقال الطلبة إلى مدرسة خارج المدينة.

لكن الصراع الحقيقي أعرض وأعمق.

إن معظم الآباء الروس ما زالوا يعتقدون أن نظام التعليم الروسي التقليدي، أو النظام السوفييتي أفضل بكثير من النظام الإسرائيلي. إنهم يتذكرون حتى الآن مدارسهم في الطفولة، ويتوقون إلى أن يجدوا ما يشبهها في إسرائيل.

منذ ثلاثة عشر عاما، توصلت الإرادة إلى افتتاح أول مدرسة إسرائيلية حسب الأسلوب الروسي. في ذلك الوقت، تجمع عدد

*صحافية إسرائيلية من أصل روسي.

الإسرائيليون يشعرون بالاسترخاء، لأنهم يهتمون بجعل حياتهم مسلية. على العكس من ذلك، يؤمن الروس بالعمل الصعب، وهم لا يسمحون لأولادهم بأن يقضوا وقتهم في اللعب وحسب. إنهم يرغبون في أن ينشئوهم على نظام، وأن يجعلوهم يدرسون بقدر ما يستطيعون. حتى العائلات شديدة الفقر من المهاجرين الروس تحاول أن تمنح أبناءها أنشطة إضافية، مثل المدارس المسائية (وتوجد الآن ٢٠٠ مدرسة تقدم الدروس المسائية في إسرائيل) أو النوادي المختلفة. إنهم يؤمنون بأن الثقافة الروسية عظيمة، أعظم بكثير من الإسرائيلية، وبأنه ليس من الضروري لهم أن يتعلموا الثقافة الإسرائيلية، لأن الضروري هو أن يتذكروا اللغة والثقافة التي حملوها من بلدهم الأصلي.

من مدرسي الرياضيات الذين جاءوا من مدارس ذات مستوى في الاتحاد السوفييتي السابق، وباتوا يعملون زبالين وحراسا في إسرائيل، والتقوا بالطلبة المهاجرين الذين لم يكونوا سعداء ولا مكتفين بما يقدمه التعليم الإسرائيلي. وكان البالغون لا يعرفون العبرية، ولكنهم يعرفون الرياضيات جيدا. ومعا أقدموا على الخطوة الأولى: أعدوا للمشاركة في المسابقة العالمية (الألعاب الأولمبية) في الرياضيات والفيزياء. الصغار الروس أحدثوا ثورة: لقد كسبوا أول الميداليات الذهبية، والفضية في المواضيع المدرسية، في تاريخ إسرائيل. ونشرت كل الصحف مواضيع عن الفائزين. لكن الفائزين كانوا يبحثون عن جائزة خاصة جدا: عن مدرسة تخصهم. عن مدرسة تعتمد المناهج الروسية في إسرائيل. وقد أصيب المسؤولون التربويون بالفزع، لأنه لم يكن مقبولا قط أن يسمح للقادمين الجدد بافتتاح مدرستهم الخاصة في بلد جديد. إن التعليم في إسرائيل، مثل كل مكان في العالم، دائرة محافظة. لكن أولئك الطلبة كانوا يستحقون جائزة دولية. وأخيرا، تم العثور على حل للمشكلة: أفضل المدرسين القادمين من الاتحاد السوفييتي السابق، حصلوا على أسوأ مدرسة في تل أبيب، مدرسة المحطة المركزية للحافلات، التي كانت على وشك أن تغلق، بسبب السجلات الإجرامية والإنجاز التعليمي المتدني. كانت مدرسة شيفا.

قام الروس بطرد العصابات الصغيرة والمومسات من المدرسة، وسريعا ما تحولت إلى مدرسة ناجحة، لها شعبية بين المتحدثين بالروسية من القادمين الجدد. وقبل عامين، أصبح اسم المدرسة معروفا في العالم كله، بسبب عملية الدولفيناريوم التي قتل فيها سبعة من طلبتها وجرح عشرات، وحظيت المدرسة بتعاطف من وفود جاءت من بلدان متعددة.

لكن الروس عنيدون، إنهم يستمرون في البقاء في البلاد، وفي تطوير أفكارهم.

نجاح مدرسة شيفا ـ موفيت استحدث تشكيل فصول تدريس صباحية كاملة على غرارها، في المدارس الإسرائيلية العادية. نصف طلبة هذه الفصول إسرائيليون غير مهاجرين حديثا.

وحتى الآن، هناك معركة مع الأجهزة الرسمية للتعليم، التي لا تشعر بسعادة وهي ترى أن المولودين لآباء إسرائيليين يفضلون المدرسين الروس، والمناهج الروسية، لكن النتائج تعزز النظام شيئا فشيئا.

الإسرائيليون يشعرون بالاسترخاء، لأنهم يهتمون بجعل حياتهم مسلية. على العكس من ذلك، يؤمن الروس بالعمل الصعب، وهم لا يسمحون لأولادهم بأن يقضوا وقتهم في اللعب وحسب. إنهم يرغبون في أن ينشئوهم على نظام، وأن يجعلوهم يدرسون بقدر ما يستطيعون. حتى العائلات شديدة الفقر من المهاجرين الروس تحاول أن تمنح أبناءها أنشطة إضافية، مثل المدارس المسائية (وتوجد الآن ٢٠٠ مدرسة تقدم الدروس المسائية في إسرائيل) أو النوادي المختلفة.

إنهم يؤمنون بأن الثقافة الروسية عظيمة، أعظم بكثير من الإسرائيلية، وبأنه ليس من الضروري لهم أن يتعلموا الثقافة الإسرائيلية، لأن الضروري هو أن يتذكروا اللغة والثقافة التي حملوها من بلدهم الأصلي. وهذا هو السبب الذي يجعل الروس يحاولون تعليم أبنائهم اللغة الروسية، والأدب الروسي والأوروبي، والرسم، والعمارة، والرياضيات بالطبع.

والغريب في الأمر أن ذلك ينجح! إنه في حقيقة الأمر يؤثر في التعليم الإسرائيلي وفي الثقافة.

من الذي يستطيع أن يتصور حجم المشاركة الإسرائيلية في

مسابقات الرياضيات- الألعاب الأولمبية حتى ما قبل خمس سنوات؟ إن ثمانية آلاف طفل إسرائيلي شاركوا في أولمبياد الرياضيات الذي رعته شركة أورانج للهواتف الخلوية. مجموعة البحث في أورانج تصورت أن فكرة المسابقة الجماهيرية قد تكون جاذبة جدا للزبائن الذين يتحدثون الروسية، ولهذا السبب قد تكون ذات جدوى. ركبت أورانج مغامرة قبل خمس سنوات، واستثمرت أموالا في فكرة روسية مجنونة، ونجحت. يقول إيتي كوهين، رئيس دائرة التسويق: «تجاوزنا ما كنا خططنا له. كانت المسابقة قد صممت لجذب من يتحدثون الروسية من السكان، وعلى أرض الواقع قرر المواطنون الإسرائيليون أن يشاركوا. بين الأبطال العشرة لهذه السنة، الذين استحقوا رحلة مجانية إلى باريس، كان هناك خمسة من الإسرائيليين تماما، لا يتحدثون الروسية على الإطلاق. كان من المثير حقا أن تتحول مسابقة في الرياضيات إلى نجاح تجاري. أحد أبطال هذا العام صبي بدوي في التاسعة من عمره، يتعلم الرياضيات على يد معلم روسي في نادي الرياضيات في بئر السبع.

لقد كانت تجربتنا التسويقية صحيحة تماما، وبات أولمبياد الرياضيات واحدا من أفضل المشاريع لدى أورانج.

لكن من الخطأ التصور أن التأثير ينحصر في المواضيع التقنية وحسب. إن هناك حوالي مئة يافع يمثلون في مسرح يديره المنتج إيغور موشكاتين، المعروف أيضا كصحافي في راديو ريكا (الدائرة الروسية من صوت إسرائيل). الطلاب من المدارس الإسرائيلية العادية يصلون كل مساء، ليقرأوا الكتب الجادة من تشيكوف وديستويفسكي والكتاب الروس المعاصرين، وليتعلموا مهارة التمثيل في الموقع.

من الصعب القول إنه مسرح يضم مدرسة جادة، أو أنه أقرب إلى ناد للشباب.

لكنه في الواقع مكان يلتقي فيه المفكرون الشباب، ويقضون الوقت معا.

الأطفال الروس لا يحتكون بالإسرائيليين المحليين. إنهم يتسمون بالخجل، لكنهم في الوقت نفسه متعالون إلى حد ما.

إنهم يفاجئون بأنهم يستمتعون بمناقشة قضايا الأدب والمسرح، أكثر من مشاهدة التليفزيون.

إحدى خرافات المسرح تقول:

روا هين ابن لوالدين ولدا في المغرب. لم تكن هناك أية صلة بين عائلته والوسط الروسي، فلا جذور ولا أصدقاء. لكن الصبي، عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره، وهو طالب في مدرسة الفن في تل أبيب، قرر فجأة أن يتعلم الروسية. بدأ أولا الاستماع إلى الأشرطة المسجلة، ثم أخذ يقرأ كتبا يتزايد تعقيدها، ثم وصل إلى مسرح موشكاتين حيث وجد دائرة طيبة من الأصدقاء. وقد أدى أدوارا في مسرحيات روسية، وكان ناجحا باستمرار. أما الآن فهو مترجم للكتب الروسية الكلاسيكية، من الروسية إلى العبرية. وفي الفترة الأخيرة، كان في العرض الأول لمسرحية دانييل هارمز « المرأة المسنة»، التي تبدو غير مناسبة للترجمة، وعنها يقول: «أعتقد أن اختلاطي بالروس منحني تجربة ثقافية ثرية. إنني سعيد بالاقتراب منها. أعتقد أن إسرائيل تحتاج إلى هذا الأدب، وهذه الثقافة.

ويمكننا أن ننظر إلى أبعد من ذلك. إن موقع فرق الروك الروسية على الإنترنت يظهر أكثر من عشرين اسما لهذه الفرق».

كل هذه الفرق تم تأسيسها من قبل من وصلوا إلى البلاد في سن مبكرة جدا، لكنهم يستمتعون بوجودهم معا، لأن كلا منهم يفهم الآخر، وقد استمع إلى القصص الخيالية نفسها عندما كان طفلا. يقول مارك إغناتوفسكي، مدير إحدى الفرق، إن الروك الروسي توجه هام في الثقافة الإسرائيلية الحديثة، وليس أمرا خطيرا أن يكون بعض القادمين إليه لا يعرفون الروسية جيدا، لأن وجودهم داخل وسط روسي سيحسن ذلك، وسيجعلهم يستمتعون بالصحبة.

هكذا يبدو الصراع الثقافي والتعاون في إسرائيل الحديثة.

فيصل عزايزة* و أديتال تيروش بن ـ آري**

المعرفة والمواقف تجاه الإيدز: مقارنة بين المختصين العرب واليهود في إسرائيل

هذه الورقة تدرس سمات التشابه والاختلاف بين المهنيين العرب واليهود الذين يعيشون في إسرائيل، في موضوع المعرفة والمواقف تجاه الإيدز، ومع أن الإيدز في إسرائيل لا يعتبر أزمة ضاغطة، فإن هدف البحث هو توثيق ما يعرفه المهنيون في الوظائف المساعدة ـ عربا ويهودا ـ وما يشعرون به تجاه هذا المرض، وتحليله، والدراسة تستطلع الأفكار والمشاعر المرتبطة بالتعليم والتدريب اللذين يمتان بعلاقة إلى الإيدز، وهذه هي المحاولة الأكاديمية الأولى التي تقارن بين مواقف المهنيين الإسرائيليين والعرب، ومعارفهم، في موضوع معيب، مثل وباء الإيدز، وقد شملت عينة الدراسة ٣٥٠ مهنيا، بينهم ٢١٨ يهوديا و ١٣٢ عربيا، يعملون في وسائل الرعاية الاجتماعية والصحية التي تقدم خدماتها للسكان العرب، والمهنيون يتوزعون بين العاملين في الخدمات الاجتماعية، والممرضين، والمعالجين النفسيين، والأطباء النفسيين ومدرسي الاحتياجات الخاصة والمستشارين، والنتائج تبين أن المهنيين اليهود حققوا تفوقا واضحا على نظرائهم العرب في مجالي المعرفة والمواقف، وقد تم استحضار نموذجين ارتداديين، ومناقشة تطبيقهما باستخدام أسس متعددة: منها حالة المرض، بما في ذلك إدراك التهديد، وفهم كفاءة التدريب، والبيئة التربوية، والعملية الاجتماعية للمهنيين العرب في إسرائيل.

فيروس الإيدز (HIV) يستمر في كونه سريع التقلب، وفي عرض نفسه باعتباره تهديدا محتملا بكارثة صحية أو اجتماعية عامة، الباحثون يجادلون في أن تشعب الإيدز في القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لن يترك أية زاوية في المجتمع المعاصر دون أن يمس بها (Getzel,1993; Herdt & Lindenbaum1992)، ومع أن إسرائيل تصنف من قبل منظمة الصحة العالمية بين الدول الأقل تعرضا، وأن الإيدز في إسرائيل لا يعتبر أزمة ملحة، إلا أن الهدف من هذا البحث هو توثيق ما يعرفه العاملون في المهن المساعدة ـ عربا ويهودا ـ

* محاضر في قسم الاجتماع بجامعة حيفا، مدير «المركز اليهودي العربي».

** محاضرة في قسم العلوم الاجتماعية بجامعة حيفا.